تميز الفقه الشيعي من حيث الإتساع و الشمول و العمق و مسايرة متطلبات الحياة المتجددة

<"xml encoding="UTF-8?>

إنّ الفقه الشيعي هو الشجرة الطيّبة، الراسخة الجذور، المتّصلة الأُسس بالنبوّة، امتازت بالسعة والشمولية، والعمق، والدقّة، والقدرة على مسايرة العصور المختلفة، والمستجدّات من دون أن تتخطّى عن الحدود المرسومة في الكتاب والسنّة.

إنّ الفقه الامامي يعتمد في الدرجة الأُولى على القرآن الكريم ثمّ على السنّة المحمدية المنقولة عن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن طريق العترة الطاهرة ـ عليهم السلام ـ أو الثقات من أصحابه والتابعين لهم باحسان.

محتويات [إخفاء]

فقهاء الشيعة في القرنين الأوّلين

أصحاب الجوامع الفقهية في القرن الثالث

فقهاء الشيعة في القرن الرابع

مشاهير الفقهاء في القرن الخامس

وكما يعتمد الفقه الشيعي على الكتاب والسنّة كذلك يتّخذ من العقل مصدراً في المجال الّذي له الحق في ابداء الرأي. كأبواب الملازمات العقلية أو قبح التكليف بلا بيان أو لزوم البراءة اليقينية عند الاشتغال اليقيني.

ولا يكتفي بذلك بل يستفيد من الاجماع في الاستنباط ولكن الاجماع المفيد هو الكاشف عن وجود النص في المسألة أو موافقة الامام المعصوم مع المجمعين في عصر الحضور.

إنّ الشيعة الامامية قدّمت في ظلّ هذه الأُسس الأربعة فقهاً يتناسب مع المستجدّات، جامعاً لما تحتاج إليه الأُمّة ولم يقفل باب الاجتهاد، منذ رحلة النبي إلى يومنا هذا. بل فتح بابه طيلة القرون فأنتج عبر العصور فقهاءً

عظاماً، وموسوعات كبارا. لم يشهد التاريخ لها ولهم مثيلا وإليك عرضاً موجزاً لمشاهير فقهائهم والايعاز إلى بعض كتبهم في القرون الأولى.

فقهاء الشيعة في القرنين الأوّلين

تخرّجت من مدرسة أهل البيت وعلى أيدي أئمة الهدى عدة من الفقهاء العظام لا يستهان بهم فبلغوا الذروة في الاجتهاد كزرارة بن أعين، ومحمّد بن مسلم الطائفي، وبريد بن معاوية، والفضيل بن يسار، وكلّهم من أفاضل خريجي مدرسة أبي جعفر الباقر وولده الصادق ـ عليهما السلام ـ . فأجمعت العصابة على تصديق هؤلاء وانقادت لهم في الفقه والفقاهة.
ويليهم في الفضل لفيف آخر، هم أحداث خريجي مدرسة أبي عبداللّه الصادق نظراء جميل بن دراج، وعبداللّه بن مسكان، وعبداللّه بن بكير، وحماد بن عثمان، وحماد بن عيسى، وأبان بن عثمان.
وهناك ثلة أُخرى يعدّون من تلاميذ مدرسة الامام موسى الكاظم وابنه أبي الحسن الرضا ـ عليهما السلام ـ نظراء يونس بن عبدالرحمان، ومحمّد بن أبي عمير، وعبداللّه بن المغيرة، والحسن بن محبوب، والحسين بن علي بن فضال، وفضالة ابن أيوب1.
أكثر هؤلاء من فقهاء أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث .
هؤلاء أعلام الشيعة في الفقه والحديث في القرنين الأوّلين وكلّهم خريجو مدرسة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ولقد خلّفوا آثاراً علمية باسم الأصل، والكتاب، والنوادر، والجامع، والمسائل وعناوين أُخرى.

أصحاب الجوامع الفقهية في القرن الثالث

لم تزل تنجب مدرسة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ في القرن الثالث فقهاءاً كباراً ألّفوا جوامع فقهية. نشير إلى بعضهم:
1- يونس بن عبدالرحمان، ولقد وصفه ابن النديم في فهرسته بعلاّمة زمانه، له جوامع الآثار والجامع الكبير، وكتاب الشرائع.
2- صفوان بن يحيى البجلي، الّذي كان أوثق أهل زمانه وصنّف 30 كتابا.
3 و 4 ـ الحسن والحسين ابنا سعيد بن حماد الأهوازي، صنّفا الكتب الثلاثين.
5- أحمد بن محمّد بن خالد البرقي، المتوفّى 274 صاحب كتاب المحاسن وغيره.
6- محمّد بن أحمد بن يحيى الأشعري القمّي، صاحب نوادر الحكمة المتوفّى حوالي 293. صاحب الجامع المعروف.
7- أحمد بن محمّد أبي نصر البزنطي، المتوفّى 221، صاحب الجامع المعروف.

فقهاء الشيعة في القرن الرابع

هؤلاء هم فقهاء الشيعة في القرن الثالث ويليهم عدة أُخرى في القرن الرابع نذكر أسماءهم على وجه الاجمال:
1- الحسن بن علي بن أبي عقيل شيخ الشيعة وفقيهها صاحب كتاب المتمسك بحبل آل الرسول.
2- علي بن الحسين بن بابويه، المتوفّى 329، صاحب كتاب الشرائع.
3- محمّد بن الحسن بن الوليد القمي، جليل القدر، شيخ القميين وفقيههم ومتقدّمهم مات سنة 343 ولقد بلغ في الوثاقة والدقة على حد يسكن إليها الشيخ الصدوق في تصحيحاته وتضعيفاته.
4- جعفر بن محمّد بن قولويه. أُستاذ الشيخ الصدوق مؤلّف كامل الزيارات، يقول النجاشي: إنّه من ثقات أصحابنا وأجلاّئهم في الفقه والحديث. توفّي عام .369
5- محمّد بن علي بن الحسين الصدوق 306 ـ 381، مؤلّف من لا يحضره الفقيه والمقنع والهداية.
6- محمّد بن أحمد بن الجنيد المعروف بالاسكافي، المتوفّي سنة 385.
قال النجاشي: وجه في أصحابنا ثقة جليل القدر صنّف فأكثر، ثمّ ذكر فهرس كتبه ومنها كتاب تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة. وكتاب الأحمدي للفقه المحمّدي.

مشاهير الفقهاء في القرن الخامس

وفي القرن الخامس نبغ فقهاء كبار، احتفل الفقه الشيعي بل الاسلامي بأسمائهم وآرائهم كالشيخ المفيد 336 ـ 413 والسيد المرتضى 355 ـ 436 والشيخ الكراجكي 449 والشيخ الطوسي 385 ـ 460 وسلاّر الديلمي مؤلف المراسم، وابن البراج 401 ـ 489 مؤلف المهذب، وغيرهم الذين ملأت أسماؤهم كتب التراجم والرجال، ومن أراد الوقوف على حياتهم وكتبهم فعليه بالرجوع إلى الموسوعات الرجالية وأخص بالذكر كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة.
هذا عرض موجز لمشاركة الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية على المستوى الفقهي. وبعين اللّه انّ علماء الشيعة قاموا بهذه الجهود في ظروف قاسية ورهيبة، وكانت الحكومات ومرتزقة البلاط تطاردهم وتسجنهم وتقتلهم ومع ذلك نرى هذا الانتاج العلمي الهائل في مجال الفقه. ولو وقف عليها علماء الإسلام لا ندهشوا من سعة الفكر، وعمق النظر، وغزارة الانتاج.
هذا هو الشيخ الطوسي الّذي ألّف المبسوط في الفقه المقارن في 8 أجزاء في زمن كانت نار الحرب مشتعلة على الشيعة ولقد أحرقت داره، ومكتبته في كرخ بغداد فالتجأ سرّاً إلى النجف الأشرف تاركاً بلده الّذي عاش فيه قرابة نصف قرن، وأين هؤلاء من الفقهاء الذين تنعّموا بالهدوء والاستقرار، واستقبلتهم السلطات الحاكمة بصدر رحب، وأُجيزوا بازاء شعر أو كتيب أو رسالة صغيرة بالهبات والعطايا 2.

_____

1. أبو عمرو الكشي: الرجال 206 ـ 222 ـ 466، وراجع رجال النجاشي في ترجمتهم وذكر آثارهم ومنزلتهم في الفقه .

2. من كتاب دور الشيعة في بناء الحضارة الاسلامية، لأية الله الشيخ جعفر السبحاني، طبعة: بيروت، دار الاضواء للطباعة والنشر، سنة 1993م.